**أبو فراس الحمداني**

نقد تطبيقي لنص شعري قديم لابي فراس الحمداني (الحمامة النائحة)

أقول وقد ناحت بقربي حمامةٌ أيا جارتا لوتشعرين بحالي؟

معاذ الهوى ماذقت طارقة النوى ولاخطرت منك الهموم ببال

اتحمل محزون الفؤاد قوادم على غصن نائي المسافة ،عالي؟

أيا جارتا ما انصف الدهر بيننا تعالي اقاسمك الهموم تعالي

تعالي تري روحا لدي ضعيفة تردد في جسم يعذب بالي

أيضحك مأسور وتبكي طليقةٌ ويسكت محزون ويندب سالي؟

لقد كنت أولى منك بالدمع مقلةٌ ولكن دمعي في الحوادث غالي

هذه قطعة شعرية غنائية رقيقة من أمثلة الشعر الغنائي في القرن الرابع للهجرة –العاشر الميلادي تتجلى غنائيتها في بروز شخصية شاعرها الامير العربي الشجاع أبي فراس الحمداني (الحارث بن سعيد بن حمدان الحمداني) المولود سنة 320 هــ في الموصل والمتوفى سنة 357هـ وهو ابن عم سيف الدولة الحمداني وكفله ورعاه عندما قتل ابوه وهو طفل فرباه تربية الامراء تعلم الادب والشعر حتى نبغ فيه ووقع في الاسر مرتين استطاع في الاولى ان يهرب ويعود الى سيسف الدولة واسر في الثانية وهو جريح قد اصابه سهم بقي نصله في فخذه ونقل الى السطنطينية ومكث في الاسر سبع سنين وله اشعار كثيرة تسمى الروميات تتسم بالحزن والكآبة وهذه اللوحة الشعرية واحدة من لوحات الأسر أو (الأسريات) أو (الروميات) تلك القصائد والمقطعات التي نظمها الشاعر عند أسره في سجن القسطنطينية في الصراع بين العرب المسلمين والروم (وقع ابو فراس في أسر الروم في شوال سنة 351هـ وبقي فيه الى رجب سنة 355هـ ) وهي امثلة شعرية تتمثل اسى الامير الاسير وشكواه وتصوره شاعرا تضطرم في ذاته الام الفراق وتلح على نفسه نزعة الحرية والتحرر من ظلم الاسر معنى ودلالة حماسية واجتماعية حتى خيل للبعض ان (الروميات) خزين شعري وجداني يحمل نقمة الشاعر وبذور تمرده وعتابه ونجوى الفارس الأبي فكان كل بيت فيها كما قيل جمرة كاوية وكانت كل قصيدة منها سيلا من لهب ذلك هو الجو العاطفي الاجتماعي العام الذي ولدت في رحابه هذه المقطوعة (الحمامة النائحة) وقد حملت هذه الابيات السبعة عنوانات كثيرة في كتب وابحاث ومقالات المعجبين والدارسين لشخصية الشاعر الامير منها (الحمامة الباكية) و (بكاء الحمامة) و (الحمامة النائحة) و (نوح الحمامة) و (أيا جارتا) ومهما يكن من أمر هذه الاسماء فان للحمامة ولهديلها مكانة في الشعر العربي ،اذ عدت رمزا لبث لواعج الشوق ومصدر الالهام والذكريات بالنسبة للشعراء العشاق الذين وجدوا فيها وفي هديلها تعبيرا عن راحتهم النفسية واستجابة لتباريح هواهم ولواعج غرامهم 0

اختار ابو فراس للوحته الشعرية البحر الطويل وهو من البحور العربية العريقة والقديمة جدا في القصيدة العربية واذا اجاز الربط بين البحر الشعري من حيث كونه ضربا من الموسيقى الشعرية ومضمون القصيدة فان اختيار البحر الطويل في التعبير عن هموم الشاعر الاسير واشجانه وذهوله في مثل هذا الموقف يعد اختيارا موفقا وملائما لجو هذه اللوحة الشعرية 0 ولعل مجيء (لام) لفظة (تعالي) في البيت الرابع:

أيا جارتا ما انصف الدهر بيننا تعالي اقاسمك الهموم تعالي

مكسورة حملا لها على حركة الروي على حين انها يجب ان ترد مفتوحة وفقا لقواعد الصرف العربي يعد من عيوب هذه اللوحة وهو عيب شكلي اذا ما قرئت اللوحة الشعرية قراءة فنية كلية0 اطل الشاعر من أسره وهو يحدق في المدى البعيد ،البعيد جدا اذ ازدحمت في ذاته الحبيبة ذكريات كثيرة فانثالت عليه الهموم والاشجان انثيالا وهو في وحدته وعزلته فرأى في هذه الحمامة التي تنوح بقربه انيسا يتحدث اليه وصديقا يشكوه بعض الامه مستهلا هذا الحديث الرفيق بنداء الندبة (أيا جارتا) هذا النداء الذي احبه الشاعر فأعاده في البيت الرابع تعبيرا عن آماله في تحقيق حريته 0 يتمنى ان تشعر هذه الحمامة رمز الحب والسلام بما يشعر به من الام وهموم واشجان في موقف نفسي متوتر وحالة ذهول ويأس معتمة لا والف لا ،فهي حرة طليقة لاتعرف للاسى معنى ولا للالم طمعا انها طائر بريء لاتعرف الهموم ويسرح خيال الشاعر في الافاق البعيدة راسما لواقعه الاليم صورة حزينة تقطر اسى صورة يجسدها سؤال الشاعر الاستنكاري سؤال يعرف جولبه ولكنه يحاول تجاهله يحاول ان يحمل البراءة والحزن أتستطيع هذه الحمامة الوديعة نقل الشاعر الى غيره من اصحابه واصدقائه وخلانه ؟ أجل 00 أنها لاتستطيع ولن تستطيع؟ وهنا يبرز عنصر التجريد الفني في هذه اللوحة الشعرية حين يؤمن الشاعر الايمان كله بان هذه الحمامة هي جارته الحميمة التي تفهم نجواه وتعي أساه: وتدرك همومه. فيلح عليها بالدعوة إلى مقاسمته هذه الهموم أنه يلح بالدعوة: المتمثلة بتكرار الفعل (تعالي) ثلاث مرات (في البيت الرابع والخامس) تعبيراً عن هذا التجريد الذاتي الذي وجد في هذه الحمامة النائحة ذاته الحزينة ويفترض انها تدرك دعوته وتستجيب لنجواه وتفهم مأساته فيشرح لها عن يقين مطلق حقيقة واقعة المتمثل بروحه الضعيفة التي عذبها الفراق وابلتها صروف الدهر فتتبلور همومه سؤالاً حقيقاً يصور صحوة الشاعر في أسره من خلال استثماره هذا الطباق البلاغي المعنوي (يضحك ويبكي) (محزون وسالي ) في البيت السادس..غريب أن يضحك الاسير ويبكي الطليق الحر ويسكت المحزون ويندب السالي. وهنا تتوهج صحوة الشاعر وهو الفارس الاصيل شجاعة وحماسة ومروءة والامير العربي النبيل نسباً وانتماء اعترافاً وعتاباً انسانياً لايخلو من بعض اللوم انا الاسير أولى منك ايتها الحمامة الطليقة بالبكاء تذراف الدموع ولكن هيهات ان اذرف دمعة واحدة في مثل هذا الموقف الذي تمتحن فيه الرجولة وتتجلى فيه البطولة والفروسية بمعناها الاخلاقي والانساني.... ان دمعي ايتها الحمامة غالٍ ويبقى يمثل ابا فراس فارساً واميراُ وانساناً لا تؤثر في شخصه الاحداث ولاتثبط عزيمته الهموم ولا يجد اليأس أو الضعف إلى نفسه سبيلا... أنه فارس الموقف ورجل القضية وهكذا تنتهي هذه اللوحة الشعرية على الرغم ممافيها من آثار جروح تنزف لوعة وحنيناً وتفوح منها رائحة الهم والالم بلغةشعرية واضحة بعيدة عن التعقيد صافية صفاء هذه الذات المعذبة الطامحة إلى المجد الفخورة بوجودها. وقد قيل أن العرض الذي يرمي اليه الفن..... بجميع انواعه هو ان يكسب جزءاً من مادة الحياة الخام شكلاُ ذاتياً ولوحة أبي فراس الحمداني هذه ضرب من الفن الشعري بغنائيتها الصافية واحساسها. كان يعد كثير من جزالة الشعر والتصرف في المعاني والعذوبة والرقة0 ومن اغراضه الكثيرة الغزل وهو رقيق يمتاز بالوعة والطلاوة وسهولة النظم ومثل ذلك في تأجج العاطفة وصدق الانفعال في اخوانياته كما نظم في الفخر والرثاء والوصف وخير ما اشتهر به ابو فراس رومياته نظمها حينما كان في الاسر وبعث بها الى سيف الدولة والى امه واصدقائه بث فيها لوعته وحزنه ووصف الم الفراق